معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 20/ العدد 1 (جوان 2025): ص.ص:710-726

التناص عند عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح

Intertextuality at Abdelmalek Mortad and Mohamed Meftah

ط.د لامية بوسبحة[1] *أ.د نعيمة بن علية[2]

[1] [2]جامعة البويرة، مخبر: قضايا الأدب المغاربي، الجزائر

[1]l.boucebha@univ-bouira.dz [2]n.benalia@ univ-bouira.dz.

تاريخ الاستلام: 2024/10/30؛ تاريخ القبول: 2024/12/27؛ تاريخ النشر: 2025/06/07

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف وتتبع مسار مصطلح التناص في التجربة النقدية المغاربية عند كل من الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، والناقد المغربي محمد مفتاح . كما يرمي أيضا إلى إبراز جهود كل منهما في التنظير لهذا المصطلح إذ خصاه بكتابات كثيرة حاولا من خلالها تقديم وجهات نظر مختلفة مزجا فيها بين النظرة التراثية والنظرة الحداثية للمفهوم وإعطاء صيغ أخرى للمصطلح توافق الذوق العربي.

كلمات مفتاحية: التناص، النقد المغاربي، النقد الجزائري، النقد المغربي، عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح.

Abstract:

This research aims to stand and to trace path of the term of intertexuality in th Maghreb critism experience at the Algerian critic abdelmalek mortad and the morocco critic Mohamed meftah and aims to stand out efforts both of them in theorization for this term when he castrated him a lot of books they tried through it presentation different viewpoints blend it in between the traditional view and the modernist view for the concept and giving other formulas for the term com patibility with arab taste.

* المؤلف المرسل

Keywords: Intertextuality; Maghreb critism; Algerian critism Morocco critism; Abdelmalek Mortad; Mohamed Meftah.

مقدمة:

برز في النقد العربي عامة وفي النقد المغاربي بوجه خاص مصطلحات كثيرة نتيجة الاحتكاك بالثقافة الغربية وبأهم روادها، ونقل انتاجاتهم إلى العربية بطرق عديدة كالترجمة. ومن هذه المصطلحات ما يعرف بالتناص Intertextualité . وقد حفلت المكتبات بمؤلفات عديدة لنقاد مغاربة تناولت هذه الظاهرة تنظيرا وتطبيقا. ومن بين هؤلاء نجد الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، والناقد المغربي محمد مفتاح. فالإشكالية المطروحة: ما هو مفهوم التناص عند كل من عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح؟ ماهي المصطلحات التي اقترحوها كبدائل لمصطلح التناص؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات ارتأينا أن نتناول أولا السرقات في النقد الأدبي.

1- السرقات في النقد الأدبي:

عرفت الثقافات المختلفة مصطلح " السرقات". وكان من أكثر المصطلحات شيوعا في العصور القديمة لعدم وجود قوانين تحفظ حقوق التأليف والنشر، وفكرة السرقات الأدبية متصلة بتاريخ الفكر الإنساني منذ العهد اليوناني والروماني فأرسطوAristote أشار إلى سرقة الشعراء لبعض الأشعار حيث نقلو التعابير القديمة وضموها إلى أشعارهم فهوراس Horace مثلا يقر بأنه أخذ عن أركيلوكس وألكيوس وغيرهم. .[1]

إذن مصطلح السرقة شاع في نتاج الشعراء والأدباء منذ القديم، وكان عبارة عن اقتباس حرفي وأخذ للنصوص دون التصرف فيها.

ثم تطور بعد ذلك ليصبح " احتذاء ومحاكاة "وهو من بين المصطلحات التي أشار إليها أرسطو، وهي نقل لما قيل ثم يبدع الشاعر في خلق واستخلاص منها فنا أصيلا[2].

وقد اعتبرت مدرسة أسقراطس Isocrats أن محاكاة شاعر لآخر لا يدخل في

(1) محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ط3 ،المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص13.

(2) محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص245-249.

السرقة، وأن الأديب لابد أن يقلد غيره من أجل تعلم أساليبه على حد تعبير " ديموستين Démosthèn".كما اعتبر " كونتليان Quintilion" أن التقليد الفني للنماذج الرفيعة لا يعد سرقة بل محاكاة ويؤيده في ذلك " هوراس" الذي يعتبر التقليد ليس سرقة بل خلق جديد، ويوافقه لونجينوس Longinus" الذي يرى أن احتذاء القدماء ليس إلا وسيلة في نمو الأفكار والأحاسيس والتعابير السامية، كما دعا "سنيكا Senca" الأديب إلى التمسك بالنماذج القديمة لأنه كلما زاد تمرنه لها زاد إبداعه في الأسلوب والكتابة[1].

فهي دعوة صريحة إلى قراءة ما أنتجه الآخرون من أجل التمرن والإبداع.

وبعد ذلك ظهرت إشكالية اللفظ والمعنى في النقد الأوروبي، فهناك من أشاد بالمعاني دون اللفظ، وفريق آخر أشاد بالفظ دون المعنى ولكن " فلوبير Flobir " يقول : " أن المهم في العمل الفني صناعة الفنان ومهارته لا في المضمون، إذ يستطيع أن يتناول أكثر الموضوعات تفاهة دون أن يخشى على عمله من الفشل ما دامت يده حاذقة ماهرة" [2]

فالنقاد القدماء يدعون الأدباء إلى تقليد الأديب نفسه في أسلوبه لا في مواضيعه بقراءة أعماله وفهمها فهما صحيحا دون سرقتها .

وقضية السرقات أيضا قديمة في الأدب العربي، ومعروفة لدى الأدباء والشعراء والنقاد الأقدمين، ولقد جاءت فكرة السرقات مع الشعر العربي القديم الذي وصل من العصر الجاهلي[3] وقد أدرك الشعراء الجاهليون هذه الظاهرة الفنية وهناك ما يدل على الاعتراف بالأخذ وتأكيد هذه الحقيقة [4]. فقد قال كعب بن زهير :

ما أرانا نقول إلا معادا أو معارا من قولنا مكرورا[5]

والنقاد في هذا العصر كانوا أكثر صرامة في تعاملهم مع الأعمال الأدبية فاعتبروا إيراد

(1) المرجع نفسه، ص249-250.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص261 .

(3) محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص5.

(4) محمد عزام، النص الغائب" تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص109.

(5) كعب بن زهير، الديوان، دار صادر، بيروت، 1998، ص26.

الكلمة المثيلة والخاطر والتقليد والاحتذاء نوعا من السرقة، فالأصمعي مثلا اتهم الفرزدق بسرقة أشعار غيره من الشعراء، لكن المرزباني رد على الأصمعي بأنه يمكن أن يكون الفرزدق قد احتذى بعض الشعراء في أبيات معروفة لكنه مستحيل أن يأخذ تسعة أعشار من شعر غيره[1].

كما اتهم الأصمعي في كتابه" فحولة الشعراء" امرئ القيس بأخذ أشعار صعاليك كانوا معه، ثم جاء ابن قتيبة الذي استعمل مصطلح " الأخذ" بدلا من السرقة. ثم توالت الكتابات حول السرقات وصولا إلى ابن طباطبا في كتابه " عيار الشعر" والذي يميز فيه بين نوعين من السرقات (الإغارة) و(الاستعارة)، كما يشير إلى أن الأديب قبل أن يصدر أدبه عليه أن يدقق النظر في أدب الآخرين ويتأثر بهم[2] ، فابن طباطبا يدعو الأدباء إلى الاحتكاك بأقرانهم، وقراءة آدابهم والتأثر بهم.

أما القاضي الجرجاني في كتابه" الوساطة بين المتنبي وخصومه"، كان حذرا ومتحرزا في إصدار الأحكام في سرقات الشعراء قائلا:" ولهذا السبب أخطر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة"[3] فلعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه، ولا مر بخلده، كأن التوارد عندهم ممتنع.[4] ف" السرق-أيدك الله- داء قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد منه قريحته ويعتمد على معناه ولفظه"[5] والسرقة عنده إلا " ما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتماثل الأوزان"[6].

وقد اعتبر التوارد والمعاني المشتركة بين الشعراء، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف... ليس سرقة وكذلك إذا أتى متقدم بمعنى مبتذل ثم جاء متأخر

(1) أبو عبيدة الله بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995، ص135.

(2) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عبد العزيز بن ناصر، دط، نشر الخانجي، القاهرة، 1985، ص361.

(3) ينظر: القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: أحمد عارف الزين، ط1، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص315.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص62.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص174.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص183.

فأخذ معناه ولفظه فإنه لا يعد سارقا[1] وقد استعمل الجرجاني مصطلحات للتعبير عن السرقة كالنقل، والقلب، والنقض والإلمام، والملاحظة...إلخ

وأما الآمدي في كتابه" الموازنة بين أبي تمام والبحتري" يقول:" إن السرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الفطنة فيه عن الذي يورده أن يقول إنه أخذه من غيره"[2].

فالسرقة عند الآمدي في المعاني المخترعة من قبل شاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس وقد أطلق عليه مصطلح" الإشتراك" .

ولقد تطرق الحاتمي للسرقات وخصه ببحث واسع في كتابه " حلية المحاضرة " وقد أدرج مجموعة من المصطلحات منها: الانتحال، والاختزال، والاستعارة، والإحسان، والإساءة، والنظر والمواردة، والإشارة، والنقل...إلخ وتناولها بالتطبيق على شعر المتنبي في كتابيه" الرسالة الموضحة في ذكر السرقات المتنبي وساقط شعره" و" الرسالة الحاتمية في ما وافق أرسطو من شعر المتنبي"[3].

إلى جانب هؤلاء نجد أبو هلال العسكري الذي يرى بأن المعاني على نوعين نوع يحتذيه الشاعر، ونوع يبتكره. وعلى الآخذ أن يبتكر للمعنى ألفاظا من عنده، والبارع من الشعراء والأدباء من أخفى المعنى المأخوذ بتغيير لفظه، وأقبح الأخذ هو أن تغير على اللفظ والمعنى معا، أو تناول المعنى فتفسده[4]

فأبو الهلال العسكري أجاز أخذ المعنى لكن دون أخذ اللفظ فعلى الآخذ البارع أن يخفي المعنى المأخوذ بابتكار لفظ له.

في حين نجد عبد القاهر الجرجاني أشار إشارة مقتضبة للسرقة في كتابيه" أسرار

(1) المرجع نفسه، ص192.

(2) ينظر: الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: السيد صقر، القاهرة، ص326/1.

(3) الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979، ص28.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين-الكتابة والشعر، تح: محمد أبو الفضل الإبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، دب، دت، ص176-225.

البلاغة" و" دلالة الإعجاز" حيث يرى أن السرقة تكون في المعاني كما تكون في الألفاظ، والسرقة لا تكون في الفنون الأدبية كالمدح... ولا في المعاني المشتركة إنما هي في المعاني التي تحتاج إلى ذكاء واجتهاد، وفي الصنعة البديعية وحسن الأداء[1].

فالجرجاني يرى أن السرقة في اللفظ كما في المعنى، والسرقة لا تكون في المعاني المشتركة بين الناس إنما تكون في أوجه الكلام اللفظية والمعنوية بانتقاء الألفاظ والعبارات والبيان والبديع.

إن تداخل النصوص أمر حتمي يفرضه قانون الإبداع، فلا وجود لنص خلق من صفر، ومن هذه الفكرة ظهر التناص. فما هو تاريخ التناص في النقد الأدبي؟

2- التناص في النقد الأدبي:

ظهر مفهوم التناص والذي أريد به تعالق النصوص، وتقاطعها وإقامة الحوار فيما بينها [2] عند الشكلانيين الروس مع شلوفسكي ثم أخذ عنه الفكرة باختين الذي طورها إلى نظرية تعتمد على التداخل القائم بين النصوص أطلق عليها تسمية الحوارية Dialogisme وقد استخدم باختين هذا المصطلح ليشير إلى العلاقة التي تربط أي تعبير بتعبيرات أخرى[3].

ثم أخذته جوليا كريستيف Julia Kristeva والتي اعتبرت النص على أنه " فسيفساء من الاقتباسات، وهو نص تشرب وتحول لنصوص أخرى"[4].

ثم أطلقت عليه مصطلح " الحوارية" وعرفتها بأنها: "العلاقة بين خطاب الآخر وخطاب الأنا" ثم باسم " عبر النصوص" Trantextualité ثم التصحيف Paragrammatisme ثم ظهر عندها مصطلح " الامتصاص" قائلة:" كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، دار المدني، ط1، جدة، 1991، ص 338 وما بعدها.

(2) جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2003، ص37..

(3) تزفتيان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ت: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص121-126.

(4) J. Kristeva. Séméiotikè. Paris, Éd. du Seuil, coll. « Points», 1969, p. 84-85.

النصوص الأخرى" [1] ولتستقر عند مصطلح " التناص"، وتقر بأن دي سوسير De Saussure الأسبق إلى فكرة تداخل النصوص وتقاطعها، حيث تحدث عن مصطلح التصحيف واعتبره خاصية من خواص اللغة الشعرية[2]، فجوليا كريستيفا تعتبر كل نص جامع لنصوص أخرى سابقة له.

وبعد كريستيفا اهتمت البنيوية الفرنسية وما بعدها من الاتجاهات الحداثية السيميائية والتفكيكية بالتناص، وفي طليعتهم " رولان بارث Roland Barthes" الذي عبر عن التناصية بتعريفه للنص على أنه نسيج من الاقتباسات تعود إلى ثقافات متنوعة، وأن النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه ومستقبله الذين يمنحانه الخصوبة، وينتشلانه من العقم" فالنص الذي يحدث القطيعة مع الماضي والمستقبل اعتبره " بارث" نص بلا ظل[3] . وإلى جانب بارث نجد "ميكائيل ريفاتير"" Michael Riffaterre" الذي عرف التناص بأنه" ملاحظة القارئ للعلاقات بين نص أدبي، وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه" [4] ويضيف قائلا:" التناص هو الآلية الخالصة للقراءة الأدبية، إذ وحدها فقط التي تنتج الدلالة في الوقت الذي لا تستطيع فيه القراءة السطرية –الخطية- المشتركة بين جميع النصوص، أدبية كانت أو غير أدبية، أن تنتج غير المعنى"[5].

فرفاتير يدعو كل أديب إلى الاطلاع على ما انتجه الآخر على مستوى المعاني والمضامين. وقد استخدم ريفاتير مفهوم التناص للكشف عن أدبية نصوص شارل بودلير Charles Baudlaire، ومالارميStéphane Mallarmé ...، كما اعتمد على هذا المفهوم في دراسته لقصيدة نثرية[6].

إلى جانب ريفاتير نجد كومبانون A. Compagnon الذي قدم إسهامات كثيرة في

(1) ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص78.

(2) جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، ص42.

(3) رولان بارث، لذة النص، تر: فؤاد صفا وحسين سحبان، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص37.

(4) ينظر: عمر عبد الواحد، التعلق النصي: مقامات الحريري نموذجا، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2003، ص 62.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص62.

(6) المرجع نفسه، ص62-64.

تحديد مصطلح التناص، وقد نشر كتابه " اليد الثانية أو اشتغال الاستشهاد "" La second main ou le travail de la citation" والاستشهاد عنده هو تكرار لوحدة خطابية في خطاب مغاير له، وهذا يعني إعادة إنتاج المستشهد به، لكن بتغير مواقعه تتحول دلالته، وتتجدد قيمته، فتندمج بذلك دلالة النص المستشهد له مع النص المستقبل له[1].

أما لوران جيني L . Jenny فيعتبر التناص استيعاب العديد من النصوص، وتمثيلها، وتحويلها، حيث يحتفظ بنفس المعنى"[2].

وبعد ذلك جاء " جيرار جنيت"Gerard Genette الذي حدد أنواع التناص[3] وبلورة المصطلح جاءت من خلال بحثه عن الشعرية La poétique التي تعنى بخصائص الخطاب الأدبي" الأدبية" . وأسهم في تنمية مفهوم التناص في كتابه" Introduction à l architexte " وجعل هذا المصطلح: جامع النص أي مجموع المميزات والمتعاليات العامة المتداخلة مع غيره من النصوص القريبة[4] ويضيف جينيت موضحاً موضوع الشعرية "والأجدر أن أقول اليوم، وبسعة أكبر، بأن هذا الموضوع هو النصية المتعاليةTranstextualité ، أو التعالي النصي للنصTranscendance textuel du texte ، والذي أعرفه مسبقاً، وبطريقة إجمالية ب "كل ما يجعله في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى"[5] ويضيف :" نص متعالي يرتبط بنص آخر ولكن بطريقة خفية" [6]

أما جاك دريدا Jack Derida رائد التفكيكية في دراسة بعنوان" Border lives During on " تناول بالتفكيك نصين يعتمد أحدهما في تفسيره على حضور النص الآخر، وعرض أيضا كرونولوجية النص منذ الستينات وما طرأ عليه من تغيرات، و يرى أن النص بفهموهه القديم هو الذي له بداية ونهاية واضح المعالم له عنوان ومؤلف وهوامش،

(1) المرجع نفسه، ص64-65.

(2) أحمد حمدي، كتاب التناص وتداخل النصوص والمفهوم والمنهج، دراسة في شعر المتنبي، ط1، دار المأمون للنشر، الأردن، 2021، ص10.

(3) عمر عبد الواحد، التعلق النصي : مقامات الحريري نموذجا، ص27-28.

(4) المرجع نفسه، ص65.

(5)جيرار جنيت،" **من التناص إلى الأطراس**"، ترجمة المختار الحسني، مجلة علامات، ج.25، م.7، 1997، ص179.

(6) جيرار جنيت، مدخل لجامع النصوص، ت: عبد الرحمن أيوب، دارالشؤون الثقافة العامة، بغداد، 2000، ص90.

كلماته ذات دلالة واضحة، أما النص بمفهومه الحديث أصبح غير محدود المضامين وشبكة ونسيج من الآثار اللامتناهية فإذن النص هو مستقر لنصوص أخرى يتم استيعابها[1].

3- التناص في النقد المغاربي:

أولى الكثير من الباحثين المغاربة اهتماما كبيرا بالمصطلح الغربي " التناص" والذي يعد من المصطلحات التي غزت الكتابات النقدية العربية. وفي طليعتهم الناقد الجزائري "عبد الملك مرتاض"، والناقد المغربي" محمد مفتاح".

3-1- التناص عند عبد الملك مرتاض:

تناول عبد المالك مرتاض في كتاباته مصطلح التناص. وقد اعتبر هذا المصطلح " للنص الإبداعي كالأوكسجين الذي لا يشتم ولا يرى، ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر بأن كل الأمكنة تحتويه، وإن انعدامه يعني الاختناق"[2] ثم أضاف قائلا:" واحسب أن المصطلح _ التناص المعاصر_ الذي هو ثمرة من ثمرات الترجمة الفرنسية أدق على الحال"[3] وهو إشارة واضحة إلى المصطلح الغربي Intertextualité.

ويرجع مرتاض ابتكار التناص إلى الناقدة البلغارية " جوليا كريستيفا" إذ ايقول:" يبدو أن جوليا كريستيفا أفادت في ابتكارها بالحديث عن التناص في الكتابات الأدبية إما من كتابات ميخائيل باختين عن دستويفسكي ورابلي. وإما أندري مالرو André Malraux(1901-1976) وإما من كتابات جان جيرودو Jean Giraudoux (1882-1944) الذي يبدو أن النقاد الفرنسيون غمطوه حقه حين تناولوا مضمون مقولته فطوروها دون أن يحيلوا عليه قط، فيما نعلم(...) وذلك بأن جان جيرودو هو الذي كان سابق إلى استعمال مصطلح " السرقة الأدبية Le Vole Litteraire في الأدب الفرنسي (أما في الأدب العربي فقد سبق إلى ذلك بزهاء اثني عشر قرنا) : في اهتدائها إلى فكرة " إنتاجية النص " Productivité

(1) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيكية، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص366-367.

(2) ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، د ط، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص278.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص279.

Textuelleأو الإنتاجية المسماة Productivité dite texte نصا" وقد عززت كريستيفا إجراءاتها التنظيرية بمبادئ المنطق وقواعد الرياضيات"[1].

وبعد ذلك يشير مرتاض في موضع آخر أن منشأ مصطلح التناص يعود إلى ميخائيل باختين لا جوليا كريستيفا معتمدا في ذلك على رأي غريماس J Greimas حيث يقول:" لقد أثار أهمية كبرى في الغرب" مفهوم التناص" منذ أن جاء به السيميائي الروسي باختين وذلك بفعل أن الاجراءات التي يتضمنها هذا المفهوم يمكن أن تكون قادرة على التبادل من الوجهة المنهجية مع نظرية "المؤثرات" التي أسست عليها بوجه عام بحوث الأدب المقارن"[2].

المتأمل لكتابات مرتاض يلفي اهتماما واسعا بمصطلح التناص إذ أورد تعريفات كثيرة للمصطلح منها أن التناص هو "تبادل التأثير، تأثير مبدع بآخر"[3] و"تلاقي أفكار، وانضمام أطراف، أو توارد خواطر"[4].

ويتضح من خلال قول مرتاض أن التناص عملية طبيعية تنتج عن التأثير والتأثر الفكري بين المبدعين.

وأن "التناص تفاعل وتبادل العلاقة بين نص وآخر إما على سبيل الاقتباس أوالمعارضة أو التضاد"[5] وعد كل" نص تشرب وامتصاص وتحول لنصوص عديدة أخرى وليس الخطاب وحدة مغلقة، حتى لو تعلق الأمر بالعمل الداخلي، بل إنه يخضع لعمل نصوص أخرى"[6].

فالنصوص الأدبية تتلاقى وتنصهر فيما بينها لتشكل نصوصا أخرى أساسها الاقتباس أو المعارضة أو التضاد.

(1) عبد الملك مرتاض، مائة قضية وقضية، مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة، دار هومة، الجزائر 2012، ص213-214.

(2) المرجع نفسه، ص 214.

(3) ينظر: عبد الملك مرتاض، بين التناص والتكاتب- الماهية والتطور، مجلة القوافل، مجلد04، العدد 7، النادي الأدبي الرياض- السعودية- السنة 04، 1996، ص187.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص188.

(5) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(6)ينظر: المرجع نفسه، ص196.

وفي مرحلة لاحقة راح مرتاض يقترح مصطلح " التكاتب" كبديل لمصطلح التناص إذ يقول: "فعلينا أن نتصور جريان مصطلح التناص في الكتابات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية واللاهوتية وسواها، مما يزيد من تنصيب مفهوم التناص وخطورة تعميمه، وهما أمران يجعلانه غير لائق بأن يقوم مفهوما في مجال الإبداع الأدبي الخالص... وتأسيسا على هذا التصور، استحدثنا ما نطلقه عليه التكاتب"(1).

يرى مرتاض بأن التناص مصطلح كلاسيكي عام نجده في علم الاجتماع والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم لذا ابتكر مصطلح التكاتب الذي يختص بالإبداع الأدبي فقط .

إلى جانب التكاتب اقترح مرتاض مصطلح " التفاعل" قائلا:" وأصل فكرة هذا المفهوم تعني تفاعل نص مع نص آخر على سبيل التأثر أو التأثير، وإما بصورة مباشرة بنص، تتضمن نصا...إلخ وبصورة غير مباشرة"(2).

ليعود مرة أخرى إلى مصطلح التناص والتكاتب في قوله:" أما التفاعل الذي يحدث بين كتابة الكاتب والمؤثرات الأخرى، الشفوية والعامة فهي تنضوي تحت مفهوم " التناص" كما تنضوي تحت مفهوم " التكاتب"(3).

وفي موضع آخر أشار مرتاض إلى ضرورة الالتفات إلى تراثنا وإنجازات النقاد العرب، والتحرر من النقل والتعليق الهامشي لإنجازات النظرية النقدية الغربية الحديثة على حد تعبيره مقترحا مصطلح "الاقتباس" إذ يقول: "وهو إن شئت (أي التناص) اقتباس، وهذا مصطلح بلاغي محض، ولكنه الآن مسطو عليه من قبل السيميائية التي التحقت بالتناصات واستراحت، بل إنها ألحقت أيضا الأدب المقارن نفسه بنظرية التناص وبكل جرأة"(4). فهي دعوة صريحة للعودة إلى المصطلحات البلاغية القديمة.

تعرض مرتاض لمصطلح السرقة في خضم حديثه عن التناص ووجد بأن للتناص صلة بالسرقات الشعرية فهذه الأخيرة لم تتناول اللفظ فقط إنما اللفظ أكثر من المعنى إلى

(1) ينظر: عبد الملك مرتاض، بين التناص والتكاتب- الماهية والتطور، ص195-197.

(2) ينظر: عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، د ط، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص33.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص200.

(4) ينظر: عبد الملك مرتاض، بين التناص والتكاتب، الماهية والتطور، ص188.

جانب أنها تقوم على القراءة وعلى التضاد والاختلاف شأنها شأن التناص[1].

وأشار مرتاض إلى فكرة ابن خلدون حول مسألة حفظ النصوص ونسيانها وهي الفكرة نفسها" نسيان المحفوظ" التي أشار إليها " رولان بارث" Roland Barth في قوله "أنا أكتب لأني نسيت"[2].

وفي الأخير طرح مصطلح " التناص العائم"، ثم اقترح بعد ذلك مصطلح " الابتداع" "كضرب من ضروب التناص المجسد الذي من خلاله يظل المبدع يحوم حول نص واحد، هو أصلا ثمرة لجملة من النصوص"[3].

ورغم كل المصطلحات التي اقترحها مرتاض إلا أنه في الأخير رفض التسوية بين مفهوم التناص والمفاهيم الأخرى مثل السرقات والاقتباس[4].

3-2- التناص عند محمد مفتاح:

أعطى محمد مفتاح أهمية كبيرة لمصطلح التناص ويتجلى هذا الاهتمام حين أطلق على مؤلفه " تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص" كعنوان للدراسة[5].

تأثر مفتاح بالمدرسة الفرنسية السوسيرية، وبالسيميوطيقا الأنجلوساكسونية عند شارل سندرس بورس Charles Sanders Peirce واقفا عند مفهومين للتناص الأول أدبي ويتجلى في أفكار "ميكائيل باختين Mikhail Bakhtine " ومن تأثر بطروحاته كجوليا كريستيفا ورولان بارث التي تعد"التناص الأدبي هو إعادة إنتاج وليس إبداعا محضا، وإنما كل نص هو معضد أو قالب لنص آخر، سابق عليه أو معاصر له"[6] والثاني فلسفي يتجلى

(1) عبد الملك مرتاض، فكرة السرقات الأدبية، ونظرية التناص، مجلة علامات، النادي الأدبي، جدة، العدد 01، السنة 1991، ص ص 90-91.

(2) ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص 137.

(3) ينظر: عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة- قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة " أشجان يمانية"، د ط، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994، ص19.

(4) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 137.

(5) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، د ط، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986.

(6) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ص86.

في أفكار جاك دريدا التفكيكية ورولان بارث وهارتمنHartman الذي يعتبر " أن أي نص هو عبارة عن نسيج من أصوات آتية من هنا وهناك"[1].

ومن خلال المفهومين -الأدبي والفلسفي- أعطى مفتاح تعريفا للتناص قائلا: "أما نظرية التناص فهي أدبية وفلسفية يهدف الجانب الفلسفي فيها إلى كشف بعض المبادئ التي قامت عليها العقلانية الأوروبية الحديثة والمعاصرة"[2]. كما عرف التناص على أنه "فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، ممتص لهذه النصوص فتنسخ في فضائه ويحولها النص"[3].

وفي تحديده لمصطلح التناص أيضا زاوج مفتاح بين الرؤية البلاغية القديمة، والرؤية الأوروبية الحديثة فاقترح عدة مصطلحات منها مصطلح "السرقة" كما اقترح مفاهيم أخرى مثل: الأدب المقارن، والمثاقفة، ودراسة المصادر[4] وهذا ما أكده في قوله:" أن نظرية التناص موجودة في الآراء الانطباعية التي كان يدلي بها متلقو الآداب في مختلف الثقافات ومنها الثقافة العربية"[5].

لكن مفتاح فيما بعد رفض المطابقة بين نظرية التناص المعاصرة وبين السرقات في الأدب العربي وذلك أن مصطلح السرقات هو" وليد ذلك السياق الثقافي المشار إليه (التراث) وهو ليس مجمعا عليه في الآداب الغربية نفسها..."[6].

وفي مرحلة لاحقة استبدل مفتاح مصطلح التناص بمصطلح الحوار تأثرا بمصطلح الحوارية Dialogisme الذي صاغه ميكائيل باختين"[7] قائلا: "إن مفهوم التناص في الوقت الحالي أصبح فيه خلط ولم يعد اجرائيا، لذلك تلاحظون في كتاباتي الأخيرة أنني استعملت

(1) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص87.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

(4) المرجع نفسه، ص 119.

(5) ينظر: محمد مفتاح، دور المعرفة الخلفية في الإبداع والتحليل، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال)، الدار البيضاء، المغرب، العدد 6، خريف/شتاء 1992، ص 86-87.

(6) ينظر: محمد مفتاح، دور المعرفة الخلفية في الإبداع والتحليل، ص87.

(7) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص152.

مفهوم (الحوار) أي (حوار النص)"[1] والحوار حسبه" يمكن إرجاعه إلى نظرية العمل وهي ماركسية سوسيولوجية وابستمولوجية تقول بالسيرورة والتطور ... فهذه نظرية سكونية وفيها ندرس العلاقات، علاقات التضاد والتضمين، وندرس تطور النص، فإنه يندرج في الحوارية والتفاعل"[2].

كما نجد هذا التأثر حينما ضمن عنوانا فرعيا مصطلح الحوارية هو" الحوارية في النص الشعري".

وبعد ذلك اقترح مفتاح مصطلح "التحويل" معتبرا أن " كل نص هو تحويل لنص أو لنصوص سابقة عليه"[3] ليعود إلى مصطلح التناص ويترجمه بمصطلح " التخاطب" الذي يعني" وجود علاقي خارجي بين أنواع من الخطاب، وداخلي بين مستويات اللغة" [4] كما أنه" ينص التعريف على وجود علاقة، هذه العلاقة قد تكون بين خطابين أو أنواع من الخطاب، مما يفرض أن يكون هذا الخطاب أصليا، وأنواع من الخطاب فرعية" [5]

وفي ثنايا كتاب "تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص" أورد مفتاح نوعان من التناص وهما:

- المحاكاة الساخرة(النقيضة) التي يحاول كثير من الباحثين أن يختزل التناص إليها.
- المحاكاة المقتدية (المعارضة) والتي تعتبرها بعض الثقافات الركيزة الأساسية للتناص[6].

فالتناص إذن حسب مفتاح "إما يكون اعتباطيا يعتمد على ذاكرة المتلقي وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجا بينهما"[7].

(1) ينظر: محمد مفتاح، التحليل السيميائي أدواته وأبعاده، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد1، المغرب خريف 1987، ص 23.

(2) ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص – تنظير وانجاز، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، 1987، ص81.

(3)ينظر: محمد مفتاح، التحليل السيميائي أدواته وأبعاده، ص27.

(4) ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996، ص44.

(5) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ص122.

(7) المرجع نفسه، ص131.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذا البحث إلى نتائج نلخصها في النقاط التالية:

- تأثر كل من عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح بالثقافة الغربية، وبأفكار أبرز أعلامها فيما يخص ظاهرة التناص.
- قابل كل من عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح مصطلح التناص بمصطلحات كثيرة منها: التكاتب، التفاعل، التحويل، التخاطب...إلخ
- زاوجا بين الرؤية التراثية والرؤية الحداثية في تحديد مصطلح التناص.
- يدعو التناص إلى انفتاح النص على نصوص أخرى لمنحه دلالات لا متناهية.
- يكشف التناص عن ثقافة المبدع وسعة اطلاعه للثقافات الأخرى.
- يسعى التناص إلى تقديم النص الغائب في حلة جديدة من خلال تفاعل النصوص فيما بينها.
- ضرورة محاكاة الآخر للاستفادة من تجاربه.

قائمة المصادروالمراجع

1-الكتب العربية

1- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عبد العزيز بن ناصر، دط، نشر الخانجي، القاهرة، 1985.

2- أبو عبيدة الله بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995.

3- أبو هلال العسكري، الصناعتين-الكتابة والشعر، تح: محمد أبو الفضل الإبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، دب، دت.

4- أحمد حمدي، كتاب التناص وتداخل النصوص والمفهوم والمنهج، دراسة في شعر المتنبي، ط1، دار المأمون للنشر، الأردن، 2021.

5- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2003.

6- الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، دط، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979.

7- الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح: السيد صقر، القاهرة.
8- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيكية، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
9- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، دار المدني، ط1، جدة، 1991.
10- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، د ط، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
11- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة- قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة "أشجان يمانية"، د ط، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994.
12- عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، د ط، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996.
13- عمر عبد الواحد، التعلق النصي : مقامات الحريري نموذجا، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2003 .
14- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: أحمد عارف الزين، ط1، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992.
15- كعب بن زهير، الديوان، دار صادر، بيروت، 1998.
16- محمد عزام، النص الغائب" تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
17- محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ط3 ،المكتب الإسلامي، بيروت، 1981.
18- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996.
19- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، د ط، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986.
20- محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، 1987.
21- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،

الجزائر، 2005.

2-الكتب المترجمة

1- تزفتيان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ت: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

2- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

3- جيرار جنيت، مدخل لجامع النصوص، ت: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، 2000، ص90.

4- رولان بارث، لذة النص، تر: فؤاد صفا وحسين سحبان، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

3 –الكتب الأجنبية:

1 - J. Kristeva. Séméiotikè. Paris, Éd. du Seuil, coll. « Points», 1969.

4- المجلات

1- جيرار جنيت،" من التناص إلى الأطراس"، ترجمة المختار الحسني، مجلة علامات، ج.25، م.7، 1997، ص. 179.

2- عبد الملك مرتاض، بين التناص والتكاتب- الماهية والتطور، مجلة القوافل، مجلد04، العدد 7، النادي الأدبي الرياض- السعودية- السنة 04، 1996.

3- عبد الملك مرتاض، فكرة السرقات الأدبية، ونظرية التناص، مجلة علامات، العدد 1، النادي الأدبي، جدة، السنة 1991.

4- محمد مفتاح، التحليل السيميائي أدواته وأبعاده، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد1، المغرب، خريف 1987 .

5- محمد مفتاح، دور المعرفة الخلفية في الإبداع والتحليل، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال)، العدد 6، الدار البيضاء، المغرب، خريف/شتاء 1992.